أحد النقوش اليونانية في أم قيس

مدرج أحد مسارح أم قيس

الأعمدة التي تتواجد في كل مكان

تضم الكثير من المعالم الأثرية الرومانية

مدينة أم قيس... من روائع الأردن الخالدة

أحد المعالم الأثرية

الشوارع المبلطة والممرات المقنطرة

ام قيس بلدة اردنية تقع في لواء بني كنانة التابع لمحافظة اربد شمال المملكة. تقع على بعد 28 كم شمال اربد على ارتفاع 364 م تطلع على نهر اليرموك وهضبة الجولان وبحيرة طبريا وقد كان لموقعها الاستراتيجي بالإضافة إلى وفرة مياها نقطة جذب للنشاط السكاني واسمها قديماً جدارا وتعني «التحصينات» أو «المدينة المحصنة» ومن اهم البقايا الأثرية: المدرج الغربي وشارع الاعمدة وكنيسة المقابر المزينة.

الموقع الجغرافي

تقع أم قيس على بعد 28 كم شمال مدينة اربد، وهي أكبر مدن لواء بني كنانة في محافظة اربد، فوق مرتفع يعلو 364 مترا، عن سطح البحر، يحدها من الشمال ويفصلها عن هضبة الجولان نهر اليرموك ومن الجنوب وادي العرب الممتد من اربد حتى الشونة الشمالية غربا، ومن الغرب بحيرة طبريا، إذ ينحدر مسهل أم قيس تدريجيا إلى بداية نهر الأردن عند مخرجه من بحيرة طبريا.

تاريخ المدينة

كانت أم قيس تعرف في قديم الزمان باسم جادارا، وهي إحدى المدن اليونانية– الرومانية العشر. وفي الأزمنة القديمة، كانت جادارا تقع في موقع استراتيجي ويمر بها عدد من الطرق التجارية التي كانت تربط سورية وفلسطين.

في سنة 218 ق.م كان بطليموس الرابع «221–203 ق.م» ملك مصر يحكم فلسطين والأردن وهاجمه انطيوخوس الثالث السلوقي «223–186 ق.م» بحملة عسكرية وسيطر على الجليل، واجتاز نهر الأردن واستولى على اجزاء من شمال الأردن واستسلمت له جدارا، وهكذا وصلت إليها الحضارة اليونانية.

اجتذبت الكتاب والفنانين والفلاسفة والشعراء في عصر اليونانيين مثل:

شاعر الهجاء مينيبوس
الشاعر الساخر ميلاغروس
الخطيب الفصيح ثيودوروس

الذي عاش ما بين 14–37 بعد الميلاد.

في عام 63 قبل الميلاد احتلها القائد الروماني مومباي من الإغريق اليونان وضمها إلى حلف الديكابولس الذي اقيم أيام اليونان والرومان، وكان يضم عشر مدن في المنطقة الواقعة عند ملتقى حدود الأردن وسوريا وفلسطين، منها: جرش أميلا أو طبقة فحل في وادي الأردن، ومدينة أم الجمال شمالي شرق الأردن.

وخلال السنوات الأولى من الحكم الروماني، كان النبطيون ، وعاصمتهم البتراء، يسيطرون على طرق التجارة حتى دمشق في الشمال. غير ان مارك انتوني لم يكن راضياً عن هذا الوضع الذي كان ينافس الرومان. ولذلك فقد ارسل الملك هيرودوس العظيم على رأس جيش ليقاتل النبطيين. وفي النهاية تنازل النبطيون عن طرقهم التجارية في الشمال سنة 31 قبل الميلاد. وتقديراً لجهود هيرودوس العظيم، فقد قامت روما بمنحه مدينة غادارا. وقد وصلت المدينة قمة ازدهارها في القرن الثاني بعد الميلاد وانتشرت الشوارع المبلطة والهياكل والمسارح والحمامات فيها. وقد شبه ميلاغروس جادارا بأثينا، وهي شهادة تثبت أن المدينة أصبحت مركزاً للثقافة الهيلينية في الشرق الأدنى القديم. وقد انتشرت المسيحية ببطء بين أهالي غادارا. و ابتداء من القرن الرابع الميلادي، أصبح أسقف جادارا يحضر المجامع الكنسية في نيقيا وخلدونية وإفسس.

بقيت جدارا، تنعم بالهدوء والاستقرار حتى سنة 162 عندما اجتاز الفرس نهر الفرات، واجتاحوا سورية واحتلوا مدنها وهب الامبراطور الروماني ماركوس اوريليوس «161–180 م» لمقاومة الفرس وجهز الجيوش. عثر بمدينة أم قيس –جدارا– على كتابة كانت على قبر أحد الجنود من الكتيبة الرابعة عشرة «جامينا» التي تشير إلى الفرقة التي وصلت إلى أم قيس. في سنة 614 احتلتها الجيوش الفارسية ودمّرت كنائسها، ولم ترحم سكانها. وفي سنة 635 حررتها الجيوش الإسلامية من سيطرة الرومان بقيادة شرحبيل بن حسنة زمن الخليفة عمر بن الخطاب.

عندما تدخل مدينة « أم قيس » الأثرية تواجهك عبارة "منقوشة على حجر الشاهد الذي كان منصوبا" على قبر الشاعر الكبير القديم « أرابيوس » يخاطب فيها الضيوف قائلا: « أيها المارّ من هُنا، كما أنت الآن، كنت أنا. وكما أنا الآن، ستكون أنت ، فتمتع بالحياة لأنك فان ».

آثارها

تتميز أم قيس بآثارها المحافظة إلى اليوم على شكلها الأساسي. تضم المدينة الكثير من المعالم الأثرية:

المسرح الجنوبي «أم قيس»
الكنيسة البيزنطية «أم قيس»
المدرج الشرقي «أم قيس»
الأسواق والمخازن
مجمع الحمامات الرومانيه «أم قيس»
كنيسة البازيليكا
الدكاكين المقنطرة «أم قيس»
نيمفايوم

تاريخ البحث الاثري

بدأت إعمال الحفر والترميم في أم قيس منذ عام 930 م ،من قبل الدائرة الآثار الأردنية ثم قام سيغفرد متمان بالمسح الاثري وحفر بمنطقة الحمام التي اكتشفها غرب القرية عام 1959 م ووصف ما وجده من نقوش وفسيفساء. وفي عام 1961 م ابتدات الحفريات الأثرية والمسوح في أم قيس عند فتح طريق الحمة، وفي عام 1968 م اكتشف مدفن ضمن المدينة الأثرية القديمة، وينقب فيه فريق DE1 المعهد البروتستانتي الألماني لدراسة الأراضي المقدسة، وفي عام 1974 م و1976، 1977 م بمسح اثري سطحي شامل لآثر المدينة العليا .وفي عام 1986 م قام توماس فيبر من المعهد الألماني للآثار في برلين بمسح اثري شامل للموقع وفي أعوام 1986 1987– م أجرت العثة تنقيبات في الضريح الأرضي، وتابعت سوزان كرنر ودولف هوفمان التنقيب خلال عامي 1991 و1992 في موقع البوابة التذكارية إلى الغرب من المدينة وفي عام 1992 تركزت الحفريات في منطقة الكنيسة والبنايات الجنوبية وشمال المسرح الغربي ،وخلال السنوات 1992 – 1996 جنى وملدر وفريزن في المنطقة السماة «A» وهي منطقة تقاطع الشارع الكبير مع الشارع الفرعي المتجه شمالاً جنوبا عند الزاوية الشمالية الغربية للاكروبول، وقد عثر على قواعد بيانات وارضيات غرف «بيضون 1997 : 9 – 10».

انظمة المياه في أم قيس

اشتهرت المدن الهلنستية – الرومانية بنقل المياه من الينابيع حتى وان كانت من مسافات بعيدة، ولكون المدينة الرومانية تحتوي على حمامات ومرافق كثيرة، فان الحاجة لعمل نظام كان من اهم ضرورات الدولة الرومانية. ولم يكن السبب فقط من اجل تلك المرافق بل السبب الرئيسي هو تلبية حاجة الإنسان والحيوان ولاغراض الزراعية، فلذلك تم قطع الإنفاق وبناء الجسور المائية ونحتت الآبار والخزانات وغيرها. مما كون لمدينة أم قيس مركزا للاستقرار البشري في العصور الهلنستية والرومانية والبيزنطية والإسلامية. وان الينابيع الرئيسة في أم قيس لا تفي بحاجة المدينة الرومانية، بسبب ان هذه الينابيع كانت انخفض بكثير من مستوى الموقع ومن الأمثلة على الينابيع عين أم قيس وماقوق ووعين أم الشراب غيرها كينابيع دائمة تخدم الاغراض الزراعية بشكل مباشر. فكان الاعتماد الرئيسي في أم قيس على مياه الأمطار، وذلك على مر العصور حيث يبلغ المعدل السنوي للأمطار في أم قيس «400 500–»ملم فكان الجزء الأكبر من مياه الإمطار يخزن في الآبار والخزانات ولسقاية المزروعات، ولكي يتم الاستفادة من مياه الإمطار تم نحت القنوات في المناطق الزراعية لتجميع المياه في ابار وأحواض صغيرة لسقاية المصاطب الزراعية المنتشرة في المنحدرات «عوض 1998 : 44– 43».

عناصر الأنظمة المائية في أم قيس

نظام الجسور

ان افضل ما بناه الرومان في أم قيس هو الجسر الذي كان يحمل فوقه قناة لنقل المياه وكان موقعها ما بين الحافة الشرقية «الاكروبولوس» والحافة الغربية من البلدة الحديثة حيث كان يتميز بوجود واد عميق يصعب نقل المياه من الحافة الشرقية إلى الحافة الغربية ثم إلى المدينة والنقادي مثل هذه الصعوبات فقد تم بناء جسر يعتمد على الأقواس، يحمل فوقه قناة لتوصيل الماء وهي على شبه كبير من الجسر الموجود في قيساريا مارتيما «عوض 1998 : 45» .ولقد تم العثور على أجزاء من الجسر بطول 60 م، إلا ان معظم أجزاء الجسر تم تدميره، والسبب الهزات الأرضية التي ضربت المنطقة بالإضافة إلى الشارع الحديث، وأما تبقى من هذا الجسر فهو قوس كبير تم العثور في الحافة الشرقية من الاكروبولوس وبلغ ارتفاعه حوالي 2.60 م والعرض 4 م بني من الحجارة الجيرية الضخمة «kerner 994 286 – 285 :». وتميز القوس بأنه دعم ايضا بالحجارة الضخمة التي وجدت داخل القوس بالكامل، ولانه آخر قوس من الجسر حيث يمكن ان نستقر المياه فوقه ليتم توزيعها بنظام إلى الموقع، وتشكل القوس شكل نصف دائري ونعتمد على حجر المفتاح وحيث يمكن ان تنهدم القوس إذا فقد ذلك الحجر، وقد لبنت الحجارة بطبقة رقيقة من الملاط بين الحجارة ،ويعتمد الجسر المائي على أقواس محمولة فوق دعامات أو اعمدة بنيت من حجارة جيرية ضخمة وبلغ ما تبقى من هذه الدعامات أحد عشر دعامة ويمكن ان تحمل عشرة أقواس على طول الوادي الا انه لم يتم العثور سوى على القوس الأخير، وتتكون كل دعامة من مداميك من الحجارة الضخمة بارتفاع حوالي 1 م، وتأخذ كل دعامة شكل المستطيل وتستخدم تلك الدعامات كأعمدة ترتكز عليها الأقواس من على الجانبين وقد بنيت الدعامات من الحجارة الجيرية بعضها بشكل طولي والبعض الأخير بشكل عرضي، حيث يتم تثبيتها بشكل محكم واستخدمت الاسمنت بين الحجارة لتثبيتها وقد بنيت الدعامات فوق الصخر كبير ،وتميزت بوجود تقنية فتحات التصريف باستخدامها في عدد من المدن التي شكلت انظمتها المائية شكلا هندسيا قامت بالسيطرة وضبط مجاري المياه حيث عثر على أشكال مختلفة من تلك الفتحات أو الحواجز «عوض 1998 : 45 – 47».

قناة الفرعون وتسميتها

وهذه القناة مكونة من نظام الإنفاق والجسور، ويبدو أن اسم قناه فرعون هو تسمية محلية تكمن تحت أسطورة مفادها ان هذه التجهيزات بنيت من قبل أحد الفراعنة المصريين. ووصفها شوماخر في عام 1889 م في كتابه شمال عجلون، بانها عبارة عن نفق منفرد رئيسي يمتد من عين تراب ثم يصل إلى جسر بالقرب من الحافة الشرقية من الاكروبولوس من أم قيس حيث يتجه إلى نفقين داخل الموقع الاثري هما النفق العلوي والنفق السفلي قصرن جوانبه الملاط الناعم الرمادي الملون «عوض 1998 : 48». التوزيعات المائية : تحجز المياه داخل النفق السفلي ويتم التحكم في توزيع المياه إلى خارج النفق عند نهايته الغربية بواسطة ثلاث ثقوب تخرج المياه منها، لتتوزع إلى المدينة باكملها بوسطه شبكة من الاقنية المتطورة الموزعة بشكل هندسي على جوانب الشوارع الرئيسي والشارع الفرعي بشكل دقيق، فبعد أن تخرج المياه من النفق السفلي، تدخل في فرعين يسير الفرع الأول إلى الشمال وبالقرب من ساحة الكنيسة البيزنطية ينحرف هذا الفرع بزاوية 90 درجة إلى الغرب لتكمل سيرها إسام الكنيسة من الشمال، والفرع الأول هو عبارة عن قناتين تسيران بجانب بعضها البعض بشكل طولي، أما القناة الثانية فهي تسير موازية للقناة الأولى متجهة إلى الغرب طول حوالي 30 م، وتفصل عن القناة الأولى بواسطة حجارة صغيرة الحجم من النوع الجيري تم تثبيتها بالاسمنت بعرض حوالي 30 سم على طول القناتين، بحيث تكون جدارا يفصل بين هاتين القناتين، وقد نحتت بالصخر ولكنها اصغر من القناة الأولى فبعد أن تسير المياه في القناة الأولى ثم تتجه نحو المصب التابع لها فان المياه تنحدر من المصب إلى الأسفل فانها تنحدر إلى قناة جديدة «T» مبنية من الحجارة البازلتية المشذبة جدا، وهي من الحجارة الكبيرة، وقد تم قصارة جوانبها وارضية هذه القناة بعدة طبقات من الملاط يبلغ سماكته 5 سم، إلا أنها مدمرة من جانبها الأخير الشمالي وان القناة T تشير نحو الشارع الرئيسي بشكل منحدر مما يؤكد أنها تغذي الاقنية الموزعة في الشارع الرئيسي .وتعتبر قناة T الموجودة بجانب الشارع الرئيسي نقطة توزيع وان هذه القناة تتفرع إلى فرعين الأول يقاطع الشارع الرئيسي باتجاه الشمال، والفرع الثاني فانه تسير بجانب الشارع الرئيسي من الجنوب، لكي تغذي نظام القنوات الموجودة في الشارع الفرعي باتجاهات مختلفة حيث أطلق على تلك القنوات الرموز L. K. H. G. F. E. D. B.A» ومن المحتمل ان تلك القنوات كانت تحتوي على انابيب فخارية «عوض 1998 :66 – 69».

النفق الرئيسي المرتبط بإنفاق أم قيس خارج الموقع

ان النبع الرئيسي الذي كان يمد أم قيس هو عين التراب إلى الشرق من أم قيس بحوالي 12 كم، وامتداد النفق بطول 23 كم تحت الأرض، فان الإنفاق تمتد من عين التراب لتصل إلى اودية ابدر حيث يوجد فيها عدة عيون ويمكن استخدام هذه العيون حيث عثر في ذلك الوادي على إنفاق متجه إلى أم قيس.وان جميع الإنفاق الممتدة إلى أم قيس لم يتم قصارتها، ومن الممكن ان السبب في ذلك هو جريان الماء الدائم فيها باتجاه أم قيس ليخزن في الإنفاق الموجودة في الموقع لا يحتاج إلى إنفاق مقصورة، فهي لا يمكن ان تتسرب في الداخل الصخر لأنها دائمة الجريان ولا تستقر المياه داخل النفق الرئيسي «عوض 1998 : 76–77».

الآبار

تعتبر الآبار من اقدم الأنظمة المائية التي استخدمها الإنسان لتخزين المياه، وكانت تتميز بالكثافة السكانية المجتمعة حول تلك الآبار، وكانت من أكثر الأنظمة استخداما معتمدة على تجميع الإمطار، وان المياه تدخل إلى البئر بواسطة قناة تحت على السطح تقود إلى الفوهة وتكون بشكل منحدر، وبعض الاقنية تم بنائها من الحجارة تصل من المسطح الذي تم قطعه بشكل منحدر ثم يبنون جدرانا دائرية أو مربعة الشكل فوق الفوهة من الحجارة الكبيرة وكان فوق الفوهة البنية من الحجارة كان يوضع حجر كبير الحجم تم تجويفه من الوسط، يأخذ شكل المربع أو الدائري ويستخدم في إخراج الماء من البئر بواسطة حبل وانية وكانت تغلق هذه الفوهات بواسطة لوح معدني أو خشبي لمنع سقوط أي شيء داخل البئر ولوحظ هناك بعض الآبار تحتوي على ثلاث فوهات تبعد الواحدة عن الأخرى حوالي متر واحد، وبدل ذلك على كبر حجم ذلك البئر، وكان عدد الآبار في أم قيس في الموقع الاثري 110 بئرا، ويبلغ عمق الواحد منها 5 10– م وقد تم قصارتها بطبقتين من القصارة الأولى طبقة خشنة وذلك لتثبيتها على جدران البئر الصخرية الناعمة، ثم يأتي فوقها قصارة ناعمة وهذه طبقات القصارة تمنع التلوث وتشرب المياه داخل الصخر، وتعتمد هذه الآبار على مياه الإمطار حتى تقوم هذه الآبار بتلبية حاجة سكان المدينة «عوض 1998 : 79».

الخزانات

تمتاز الخزانات المائية في أم قيس بان بعضها تقطع في الصخر والبعض الآخر بني من حجارة بازلتية مشذبة، وقد كانت الخزانات مسقوفة بعضها بحجارة، واتخذت الآبار إشكالا مختلفة منها مستطيل سقفه برميلي، وقد بلغ عدد الخزانات الموجودة في أم قيس ثلاث خزانات موزعة في الموقع الاثري، وكان بعضها معتمد على مياه الإمطار والآخر معتمد على أنظمة قنوات المياه الممتدة داخل المدينة الأثرية «عوض 1998 : 83».

مدينة أم قيس

النصب التذكارية والتماثيل

الزخارف والنقوش